البَاكِيةُ

نَوال أَحمد رمضان / مصر

في عيادةِ الطبيبِ الشهير، قد ازدحمت بِالْمرضى وذويهم وتداخلت أصواتُهم، وفي الشُرفةِ البعيدةِ، تجلسُ وعدٌ وَحْدها أنِيقةُ، جَميلةُ.. يَكسُـــو وجهَها حُزنٌ دَفِينُ وتترقرقُ الدموعُ فِي العيونِ الذابلةِ، شـــفاهٌ زرقاءُ ووجهٌ شاحبٌ إعلان صارِخ لِمَا يُعانيه قلبُها الكسيرُ.

دلفت إلي الشُرفةِ سيدةٌ أُخرَى تُشبهها فِي أوجاعِها: " هَل يُضايقكِ جلوسي هُنا ؟ . "

هزت وعدُ رأْسَها بِالنَّفْي، جَلست أملُ صامتةٌ شاردةٌ، تختلسُ النظرَ لساعتِها بين لحظةٍ وَأُخْرى، تستحثُها أَن تُسرع خُطى عَقاربِهَا ليمُر الوقتُ الرتيبُ .

سيطر الملَلُ عليها فنظرت للباكيةِ عينيها: " أدعِي لِي أَنْ أَصبحَ أُمًا. "

ردت وعدُ بِلا مُبالاة: " إنْ شاءَ اللَّهُ ستكونين."

اِبتســـمت أَملُ بمرارةٍ : " كُلُ الاطباءِ أَكدُوا لَن أَكُون أمًا أبدًا لكنه الأمل ســـأُحَاوِل مُجددًا مع الطبيبِ الكبيرِ "

وأردفت: " يرزقكِ اللهُ السلامة "

اِنهمرت دُموعُ وعدُ وهِي تُردد: " سلامة؟ ! ادعي لِي أَنْ يُوافِق الطبيبُ أَن يُخلصني مِنْه. "

صرخت أملُ: " لا ... لا " . أَخذت الدهشةُ الحضورَ، وتوجهَت الأنظارُ القلقةُ نحْو الشُرفةِ ... اعتذرت أملُ، واحتضنت يدَ وعدِ: " لِماذَا تُضحي بحلمِ الكثيراتِ، أياكِ أن تفْعلِي هذا . "

ردت وعدٌ باكيةً: " إنْ لم أَفْعل سيُطلقني زوْجي، ولن يعترِف به، لدي ثلاثة أَبناء سأُضحي بِه مِنْ أَجلهِم جميعًا. "

ربتت أَملُ على كتفِها وشدت على يدِها وبصوتٍ خفيضِ همست: " هو لي، سأكتبه بِاسمِي، وَسيكُون ابني ... مثلك سيطلقني زوجي، اقبلِي أرجوكِ؛ فى حياتِه نجاتُنا جميعًا . "

هوت أملُ بمطرقةِ حُلمِها على رأسِ وعدِ، فسبحت فى الملكوتِ، وشعرت بجنينِها يتحركُ حركةً عنيفةً، وَكأَنه يرجُوها أنْ تَهبهُ الحياةَ، وَأن تزرع زهرةً فِى قلبِ أملِ، شــعرت بالراحةِ، اِبتســمت وهى تؤكد: " هو لكِ، هو لكِ . "

خَرجتا معاً مِن العيادةِ، تُجففان دمعاتٍ إختلط فِيها الْأَسي بالسعادةِ، وهرولت الشهورُ، وكلتاهُما تستعدان للحظةٍ فارقةٍ فِى حياتيهما.

أملُ أعلنت حمَلها للجميعِ، وغمرت السعادةُ حياتَها، كل يوم تجوبُ الشوارعَ، وتتجولُ

بالمحلاتِ، تشتري ملابس كثيرةً، ولعبًا رائعةً، وَتُجهز حُجرِة أملِها المُستقبلي، وتأْبى أَن يُنقصُه شيء.

وتناجي وعدُ جنينها ليلاً ونهاراً، تشـــرحُ لَهُ كل ما كان وما ســـيكون، تَرجوه أَنْ يَغفِر لها تخليها عَنْه، تَبكى بكاءً حارًا، ثُم تبتسم وهِي تتذكر أَنَّهَا سَتراه دائمًا وَتطمئِن عليه .

باغتتها آلامُ المخاضِ تُذكرها بِأَن لحظة الفراقِ قَد حانت، تتصِـل بأملِ، تَسـابقُ أملُ الزمنَ، وتسـبقها إلي المشـفى بِكل أحتياجات حُلمِها المنشـودِ، زينت غُرفةَ اسْـتِقْبَالُه: بالونات.. زُهُور.. أَلْعَاب.. شـيكولاتات.. هدايا للأطباء وَالتمريضِ .وفى غُرفةِ الولادةِ تُعانى وعدُ آلامًا وأوجاعًا، ومَخاوفًا وفراقًا لمْ يبدأ بَعد، دُعاء وحركة، وينطلقُ صـراخُ وعدِ مُختلطًا بصـوتِ الحياةِ، يشـعر الْحاضـرُون بالسـعادةِ، ويتبادلون التهاني.

اِهتمت ملائكةُ الرحمةِ بالمولودةِ، اِبتسمت إحداهُن وهي تُقربها مِن وعدٍ وَتسأَلُها بفرحةٍ: " ماذا ستسمين الجميلة أَنْ شَاءَ اللَّهُ ؟ ."

ضـمتها وعدُ إلَي صـدرِها، تأَملت وجهَها الملائكي، لمسـت بشـرتَها، انتفض قلبُها، اِنسـابت دموعُها نهرًا وهى تُقبلها، وأُتي صوتُ أَملِ يُفِيض بُشراً: "هبة اللَّهِ "

اقتربت مِن وعدٍ، وربتت علِي كتفِها، مدت يدَها لِتأخذ الصـغيرةَ، لكن وعد تتشبثُ بِابنتِها تحتضـنها بِقوةٍ وتُردّد بِحُزنٍ وَأَسي وأسف: " سامحيني يا أَمل"

تتعلقُ أَملُ بالصغيرةِ، تُقبلُها وَتَبكي بمرارة، .وتُهمهمُ بكلماتٍ غير مفهومةٍ كمَنْ أصابتها لَوثةُ..